٩

لم تغترب رواية اسحق موسى الحسيني عن التاريخ الفلسطيني.. لكنها التقطته وخانته باطروحاتها ورؤيتها.

ومن أعمال الرواية الفلسطينية في تلك الحقبة – الاربعينات – نعثر على اشارات لثلاث روايات اغتربت عن واقعها وتاريخها،في الزمان الفلسطيني، وفي همومها وأحداثها ومضامينها.

سنة ١٩٤٦، أصدر محمد العدناني روايته «في السرير»، التي يستقي وقائعها وأحداثها من حادث وقع له فعلاً، وهو مرضه، فتحولت معه الرواية الى عملية سرد لمراحل مرضه وسير علاجه من مكان الى آخر، حاشداً من خلال ذلك وراصداً لمجموعة من الحوادث الطريفة والمصادفات الغريبة التي واجهها، بصياغة تحرص على الاسلوب الغريب المنمّق، وتُكثر من الاستشهاد بالشعر، وتطمح الى تزويد القارئ بالمعلومات، مما جعل الرواية أقرب الى المذكرات منها الى الرواية[٣١].

أما رواية اسكندر الخوري البيتجالي «في الصميم»، الصادرة سنة ١٩٤٧، فانها تستند الى نوع ما من الحبكة الروائية، محورها علاقة شاب من اسرة ارستقراطية مع فتاة فقيرة وزواجه منها، تحدياً للعلاقات السائدة في المجتمع. وعبر هذه الحكاية يطرح الكاتب تصوراته للعلاقات الجنسية والعاطفية ومواعظه الاجتماعية والاخلاقية، مع الاستشهاد بالكتب الاخرى لتعزيز رؤيته. فالرواية بوصف كاتبها هي «بحث عام في الزواج والعلاقات الجنسية بقالب روائي غرامي»[٣٢].

وفي العام نفسه، صدرت رواية عارف العارف«مرقص العميان»، التي عبّرت عن تقدم نسبي على الصعيد الفني – الروائي، لكنها ظلت، مع ذلك، مغتربة عن الهموم الاجتماعية والتاريخية للواقع الفلسطيني آنذاك، اذ تمحورت حول هموم فردية لبطلها الضرير، الذي استطاع تحقيق وجوده واحراز نجاحاته في عالم المبصرين وتفوق عليهم بعزمه وايمانه وجلده وقدرته على تحدي الصعاب[٣٣].

ومن خلال هذه الاعمال[٣٤]، تبدو الرواية الفلسطينية أشد ما تكون اغترابا عن القضايا الاكثر خصوصية وجوهرية، فهي نتاجات معزولة لمثقفين فلسطينيين يبدو انهم كانوا معزولين عن واقعهم وهموم شعبهم، أو انهم عزلوا همومهم الابداعية عن همومهم السياسية، وفصلوا بين همومهم الفنية وطموحاتهم الاكاديمية. أو ربما عجزوا عن التعبير بهذا الشكل الفني الجديد – نسبياً –(الرواية) عن تلك الهموم، فلم يستطيعوا تحقيق التزاوج والالتئام في داخلهم بين السياسي والفنان والاكاديمي. وقد يكون عارف العارف نموذجا لهذا التناقض الذي يعبّر عن الاخلاص الاكاديمي والعجز الفني في التعبير عن هذا الاخلاص، فهو مخلص وقادر كراصد ومؤرخ.. دون أن يكون ذلك كفنان.

مع ذلك ، فاننا في بحثنا عن الرواية الفلسطينية من نتاجات تلك الحقبة، نعثر على اشارات ضئيلة لعملين روائيين نشرهما جمال الحسيني، يبدو أنهما استطاعا – في